المقتبس

كتاب العرب

أو الرد على الشعوبية

لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة من أهل القرن الثالث

تابع ما في الجزء الماضي

ومنهم الحطيئة هجا أباه وامه ونفسه فقال في امه :

تنحي فاجلسي مني بعيدا   أراح الله منك العالمينا
ألم أوضح لك البغضاء مني   ولكن لا إخالك تعقلينا
أغربالا إذا استودعت سرا   وكانونا على المتحدثينا

وقال لأبيه :

لحاك الله ثم لحاك حقا   أبا ولحاك من عم وخال
فنعم الشيخ أنت لدى المخازي   وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
جمعت اللؤم لا حياك ربي   وأبواب السفاهة والضلال

وقال لنفسه

أبت شفتاي اليوم الا تكلما   بشر فما أدري لمن أنا قائله
أرى لي وجها شوه الله خلقه   فقبح من وجه وقبح حامله

وأتى عيينة بن النهاس العجلي مادحا فقال عيينة لوكيله اذهب معه الى السوق فلا يشيرن الى شيء ولا يساومن به الا اشتريته له فلما انصرف قال

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا   فسيان لا ذم عليك ولا حمد

ومن لؤم الغرائز ايضا في الناس ان منهم من يؤثر ريح الكرابيس على ريح البحوج وريح الحشوش على نفحات الورد ، ويهتاج من النساء لذات القبح والدفر ، ويكسل عن الحسناء ذات العطر ، ومنها ان الرجل يكون في رخاء بعد بؤس وسعة بعد ضيق فيسأم ماهو فيه ويرغب عنه الى ما كان عليه ، وقال اعرابي قدم المصر فخشنت حاله :

اقول بالمصر لما ساءني شبعي　　الا سبيل الى ارض بها جوع
الا سبيل الى ارض بها عرث　　جوع يصدع منه الراس برقوع

وهذا واشباهه من لئيم الغرائز كثير في الامم وهذه الطبائع هي اسباب الشرف واسباب الخمول فذو الهمة يسمو به نفسه الى معالي الامور وترغب به عن الشائنات فيخاطر في طلب المطلب بمهجته ، ويسمح في ابتغاء المكارم بكريمته ، ويركب الهول ويدرع الليل ، ويحط الى الحضيض ، وتأبى نفسه الا علواً حتى يدعه بهمته ، ويظفر بغيته ، ويحوز الشرف لنفسه وذريته ، ومن لاهمة له جشامة لبد يقنع الاكلة ويرضى بالدون ويستطيب الدعة وان اعدم لم يأنف من ذل السؤال والجبان يفر عن امه وابيه وصاحبته وبنيه والشجاع يحمي من لايناسبه بسيفه ويقي الجار والرفيق بمهجته والبخيل يبخل على نفسه بالقليل والجواد يجود لمن لا يعرفه بالجزيل وقال الله عز وجل (قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها) يريد قد افلح من نمى نفسه بالمعروف واعلاها وقد خاب من اسقطها بلئيم الاخلاق واخفاها وقد يكون الرجل مخالفاً لابيه في الاخلاق وفي الشمائل او في الصور او في جميع ذلك لعرق نزعه من قبل اجداده لابيه وامه وقال الشاعر :

واشبهت جدك شر الجدود　　والعرق يسري الى النائم

ومن الناس الشريف الحسيب وذلك الذي جمع الى محاسن آبائه محاسن نفسه ومنهم الشريف ولا حسب له وذلك اذا كان لئيم النفس ومنهم من لاشرف له ولا حسب وذلك اذا كان لئيم النفس لئيم السلف

وقال قيس بن ساعدة لاقضين بين العرب قضية ماقضى بها احد قبلي ولا يردها احد بعدي (ايما رجل رمى رجلا بملامة دونها كرم فلا لوم عليه وايما رجل ادعى كرماً دونه لؤم فلا كرم له) يعني ان اولى الامور بالمرء خصاله في نفسه فان كان شريفاً في نفسه وآباؤه لئام لم يضره ذلك وكان الشرف اولى ، وان كان لئيماً في نفسه وآباؤه كرام لم ينفعه ذلك

ومنه قول عائشة: كل شرف دونه لؤم فاللؤم اولى به وكل لؤم دونه شرف فالشرف اولى به. وقال الشاعر في مثله:

ومن يك ذا لؤم ومجد بجده … فاولى به من ذاك ما كان آخره
فلا لؤم عود اذا يلده مجد … ولا مجد ممدود اذا اللؤم عقبا

والحسب مأخوذ من قولك حسبت الشيء احسبه حسبا اذا عددته وكان الرجل الشريف يحسب آباءه ويعدد مآثرهم فيقال لفلان حسب اي آباء يعدون وفضائل تحسب فالمصدر مسكن والاسم مفتوح كما تقول هدمت الحائط هدما فتسكن المصدر وتقول لما سقط الى الارض منه هدم فتفتح الدال من الاسم وكذلك الاسم فيما [illegible] كرم [illegible] ان العرب كانت لا تزال في الجاهلية تتواصى بحفظ الجار والوفاء والذمم وتتعاير بالبخل والغدر والسفه وتتمدح بالوفاء والذمة وتتمدح بالنجدة والصبر والاسالة وتوجب الحق من حفظ الجوار [illegible] للقريب والرحم الحميم والاقربين [illegible] دون جاره ووقى ماله بماله وكل [illegible] منهم كعب بن مامة وكان اذا جاوره جار فقتل بعض لحمته وداه واذا مات له بعير او شاة اعطاه مكانه مثله ومنهم عمير بن سلمى الحنفي احد اوفياء العرب وكان [illegible] قرين الى امرأة فاعتدى الرجل في حفظ امرأته فقتله وكان عمير غائبا فلما قدم وعلم بذلك دفع قرينا الى ولي المقتول فقتله واعتذر الى امه وعظم حرمه فقال:

تعد معاذرا لا عذر فيها … ومن يقتل اخاه فقد الاما

ومن اعجب امر في الجوار قصة ابي حنبل حارثة بن مر وكان الجراد سقط بقرب بيته فقصد الحي لصيده فلما رآهم قال اين تريدون قالوا نريد جارك هذا فقال اي جيراني قالوا الجراد فقال اما اذ جعلتموه لي جارا فوالله لا تصلون اليه ثم منعهم حتى انصرفوا [illegible] بخفيهم فقال

[illegible] عقبة ولنا [illegible] … [illegible] [illegible]
مكارم في اوليات الزمان … من عهد نوح ومن بعد عاد
ومنا ابن مر ابو حنبل … اجار من الناس رجل الجراد
وزيد لنا ولنا حاتم … غياث الورى في السنين الشداد

وقال [illegible] بن [illegible] يذكر قومه:

لا يفطنون لعيب جارهم … وهم لحفظ جواره فطن

وقال مسكين الدارمي

ناري ونار الجار واحدة ... واليه قبلي تنزل القدر
ما ضر جاراً لي يجاورني ... ان لا يكون لبابه ستر

وقال الحطيئة يمدح محاسن قومه

اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا ... وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها ... وان انعموا لاكدروها ولا كدوا
يسوسون احلاماً بعيداً اناتها ... وان غضبوا جاء الحفيظة والجد
اقلوا عليهم لا اباً لابيكم ... من اللوم اوسدوا المكان الذي سدوا

وهم الضيافة عامة شاملة في جميع البادين منهم والايثار على النفس والجود بالموجود وافضل العطا جهد المقل

وقال عثمان بن ابي العاص : لدرهم يخرجه احدكم من جهد فيضعه في حق خير من عشرة آلاف درهم يخرجها احدنا غيضاً من فيض . ولولا ما تواصوا به من الضيافة وتحاضوا عليه من الايثار لمات الخير وابدع به دون غايته

وقال ارطاة بن سهية

وما دون ضيفي من تلاد تحوزه ... الى النفس الا ان تصان الحلائل

وقال ابن ابي الزناد قال عبد الملك بن مروان ما يسرني ان احد من العرب ولدني الا عروة بن الورد لقوله

واني امرؤ عافي انائي شركة ... وانت امرؤ عافي انائك واحد
اتهزأ مني ان سمنت وان ترى ... بجسمي مس الحق والحق جاهد
اقسم جسمي في جسوم كثيرة ... واحسو قراح الماء والماء بارد

يريد انه يقسم قوته على احبائه فكأنه قسم جسمه لان اللحم الذي ينبت ذلك الطعام يصير لهم ويحسو قراح الماء في الشتاء وقت الجدب والضيق لانه يؤثر باللبن فتوقف على هذا الشعر وتأمل ما فيه من شريف المعاني

وقال آخر

اذا ما عملت الزاد فالتمس له ... اكيلا فاني غير آكله وحدي
بعيداً قصياً او قريباً فانني ... اخاف مذمات الاحاديث من بعدي
فكيف يسيغ المرء زاداً وجاره ... خفيف المعى بادي الخصاصة والجهد

ولعل الطاعن أن يقول [illegible] هذا [illegible] الأرنب
[illegible] الأعراب وأين هو [illegible]
[illegible] والجعلان [illegible]
[illegible] لا [illegible] أكل السباع [illegible] الكلاب
[illegible]
[illegible] الشاعران [illegible] الضيف [illegible] بكثرة الأكل [illegible]
قال أحدهما [illegible]
[illegible]
[illegible] الضيف [illegible]
قال [illegible] يذكر الضيف :

[illegible] ومحتضر [illegible] ‏ ‏ [illegible]
يقول وقد ألقى [illegible] ‏ ‏ [illegible]
فقلت له [illegible] ‏ ‏ [illegible]
[illegible] ‏ ‏ [illegible]

وقال أيضاً يذكر الأضياف :

[illegible] ‏ ‏ [illegible]
[illegible] ‏ ‏ [illegible]

[illegible] من الأضياف [illegible]
[illegible] :

[illegible] ‏ ‏ [illegible]
فقلت [illegible] اليوم [illegible] ‏ ‏ [illegible]
[illegible] ‏ ‏ [illegible]

وقال الحطيئة :

[illegible] الضيفان [illegible] ‏ ‏ [illegible] من الزاد
[illegible] ‏ ‏ [illegible] الزمان [illegible]

[illegible] الخير والشر [illegible]
[illegible] الأمور ويحكون

باشهر الاخلاق · وليس في ثلاثة من الشعراء او اربعة ما هدم مكارم الاخلاق آلاف من الناس وهدم صالح العرب · وهذا كعب بن مامة آثر بحصته من الماء رفيقه النمري حتى مات عطشاً · وهذا حاتم الطائي قسم ماله بضع عشرة مرة ومر في سفره على عنزة وفيهم اسير فاستغاث به ولم يحضره شيء فاشتراه من العنزيين وخلاه واقام مكانه في القد حتى ادى فداءه · وكل فخر في طيء فهو راجع الى نزار ولم الجبلان وهما بعد واقدم آدابهم وتخلقهم باخلاقهم · وهذا عدي شاطر ابن دارة الشاعر ماله · وهذا معن في الاسلام كان يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وعن معن ولا حرج · واتاه رجل يستحمله فقال يا غلام اعطه فرساً وبرذوناً وبغلاً وعيراً وبعيراً وجارية ولو عرفت مركوباً غير هذا لاعطيتكه · وهذا ريك بن مالك بن معوية باع ابله والطلق باثمانها الى منى فانهبها والناس يقولون مجنون فقال :

لست بمجنون ولكني سمح   انهبكم مالي اذا عز القمح

وهذا شيء يكثر جداً ويتسع القول فيه ويخرج الكتاب من فنه باستقصائه وكان غرضنا في هذا الكتاب ان نخبر بالقليل من كل شيء في عيون الاخبار · واما تعييرهم اياهم بخبيث المطعم كالعلهز والحيات وخبيث المشرب كالفظ والمجدوح فان هذا واشباهه طعام الجوع والضرورات وطعام نازلة الفقر واللأوات وقال الشاعر

اذا السنة الشهباء حل حرامها

يريد انهم يأكلون فيها الميتة وقال الراعي

الى ضوء نار يشتوي القد اهلها   وقد يكرم الاضياف والقد يشتوي

وانما كان يكون هذا عيباً لو كانت العرب مختارة له في حالة اليسر كما تختار بعض العجم الجبان وفيهم عنه غنى والسراطين والدجاج لهم معرضة فاما حال الضرورة فالناس كلهم يضطرون فمن لم يجد اللحم اكل اليربوع والضب ومن لم يجد الماء شرب المجدوح والفظ

قال الاصمعي اعيي على اهل حريثة فذهب فركب بحيرة فقيل اتركب الحرام فقال يركب الحرام من لا حلال له وقال الشاعر

ياليت لي نعلين من جلد الضبع   كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع

ومما يدلك على ان اهل الثروة منهم على خلاف ما عليه الصعاليك والفقراء قول الشاعر

فما علم الغراب الا زاد   ولا امرخان لهار البراعص

[illegible] من أكل لحوم [illegible]

وقال آخر لامرأته

أكلت دمًا إن لم أرعك بضرة ... بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

فلو كان شرب [illegible] عندهم محمودًا لم يجعل [illegible] شرب الدم كما [illegible]
شركت [illegible]

وقال آخر

[illegible]

يريد أنه [illegible] من أكل [illegible]
من العرب [illegible]

على [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

وأما الأكل [illegible] والعروق [illegible]
الأدب عند الأكل [illegible]
والإيثار [illegible]
الأدب فيها

فالمضيرة لحم [illegible] يطبخ باللبن [illegible] وهو الحامض [illegible]

[illegible]

والوشيقة لحم [illegible]

والعصيدة [illegible]
عصدته [illegible]

[illegible] ... [illegible]

وهذه عن المضيرة [illegible]

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

وهذا من التمر وهو وصف الناس الطعام والتطيب في ذكره · حدثني أبو حاتم قال حدثني الأصمعي قال حدثنا أبو طفيلة الحرمازي قال حدثنا شيخ من أهل البادية قال عهدنا الأرض حنطة كأنها مناقير الغربان وتمر كأنها أعناق الورلان يوجد لها صرير في الضرس

وحدثنا الأصمعي أيضاً عن أعرابي أنه قال تمرنا جرس فطس يغيب فيه الضرس كأن نواه ألسن الطير تضع التمرة في فيك فتجد حلاوتها في كعبك

وحدثني عبد الرحمن عن عمه قال قال شيخ من أهل المدينة أكلت تمرة كان فيها شقة إلى الأكلة طائية فمسست بيدي فوجدت مضغة فمددتها فامتدت حتى كأني أزمر في ناي وطعام العرب كثيرة ومن أطيبها العصيدة وفي الأعراب عادتنا كالخبزة والربيكة والخزيرة والقديد تركت ذكرها واقتصرت على ما عرف وكانوا يقولون أطيب اللحم عوذه يريدون الذي ما ولي العظم كأنه عاذ به · وكانوا يقولون إذا أكلتم فسموا وادنوا يريدون كلوا مما بين أيديكم وكانوا يكرهون أكل الصماليخ ويرون الشعر إسرافاً وحرصاً وقال قائلهم

ولا يرى مع الفتى في الخامس

ومن قبائل العرب من يعاف ألية الشاة ويعيرون من طبيخ الأليات وقال قائلهم

ولست بعيّاب من إبارة بطعمها ... بلا حظ أطراف الأكيل على عمد

وكانوا يمدحون بقلة الأكل وقال أعشى باهلة

تكفيه حزة فلذ إن ألم بها ... من الشواء ويروي شربه الغمر

ويعيبون الشره والنهم والأكل ويقولون أجل الأكول أبداً قريب يريد أنه لا يخرج مع سفره وأكل لرزقين وأول القوم السابح لا يسير مع القوم وقال بعض الرجاز

لبئسما عن بطنها أنا لا تي ... حب حيان وإذا جاع بكى
لا أحطب القوم ولا أسقيه سقى ... ولا أركب القوم إن صلب بي
وآكل الحز ولا أدنو الرف ... ولا يواري وجهه إلا المصطلى
كأنه قرارة ملأى تحتها

وقال الأحنف جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام فإني أبغض أن يكون الرجل وصافاً لبطنه وفرجه

وقالوا من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه وقال الحكيم: أقلل طعامًا تحمد منامًا وقال أيضًا: [illegible]

وقال عمرو بن العاص لمعاوية يوم حكم الحكمان: أكثروا لهم الطعام فوالله ما بطن قوم إلا فقدوا بعض عقولهم وما مضت عزمة رجل بات بطينًا

ومثل هذا كثير لم آت به . فكيف تكون المروءة [illegible] إلا [illegible] فأما تركهم [illegible] فلا أعلمه إلا في موضع واحد وهو إذا حضروا [illegible] يتمدحون بترك الافتتاح لصحفة الإمام وقال الشماخ

وأشعث قد قد السفار قميصه   يجر شواء بالعصا غير منضج

وقال الكميت

ومرضوفة لم تؤن في الطبخ طاهيًا   عجلت إلى محورها حين غرغرا

ولم يزل الشرب إذا اجتمعوا والأصحاب في البلاد الخلاء وهم يبادرون الشواء قبل النضج

قال أعرابي نحر بعيره [illegible]

[illegible]   [illegible]
[illegible]   [illegible]

وأما أكلهم سقط المائدة فإن أكثر [illegible] [illegible] من الشكر [illegible] [illegible] ومن رغب عن شيء منه [illegible] [illegible] أن يقطعه والطعام [illegible] [illegible] في [illegible] سفرها واستوجب سخط الله

حدثنا يزيد بن عمرو قال حدثنا أيوب بن [illegible] عن محمد بن [illegible] عن ابن عباس قال [illegible] السموات والأرض [illegible] سقط المائدة [illegible]

والعجب عندي من قوم [illegible] الإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] الأخبار عنه [illegible] يعارضون ذلك [illegible]

المنة ولا ان يكون لهم في الانكار له نفع او عليهم في الاقرار به ضرر

واما اكلهم بالراحتين والسكين فقد تفسد الطعام وتنقص لذته والناس يعلمون الا من عاند منهم وقال بخلاف ما تعرفه نفسه ان اطيب المأكل ما باشرته كف آكله ولذلك خلقت الكف للبطش والتناول والتقذر من اليد المطهرة ضعف وعجب واولى بالتقذر من اليد الريق والبلغم والنخاع الذي لا يسوغ الطعام الا به وكف الطباخ والخباز تباشره والانسان ربما كان منه اقل تقذراً واشد انساً

واما الشجاعة فان العرب في الجاهلية اعز الامم انفساً واعزها حريماً واحماها انوفاً واخشنها جانباً وكانت تغير في جنبات فارس وتطرقها حتى تحتاج الملوك الى مداراتها واخذ الرهن منها والعجم تفخر باساورة فارس ومرازبتها وقد كان لعمري لهم البأس والنجدة غير ان بين العرب وبينها في ذلك فرقاً منه ان العجم كانت اكثر اموالاً واجود سلاحاً واحصن بيتاً واشد اجتماعاً وكانت تحارب برياسة ملك وسياسة سلطان وهذه امور تقوي المنة وتشد الاركان وتؤيد القلوب وتثبت الاقدام والعرب يومئذ منقطعة ليس لها نظام ومتفرقة ليس لها التئام واكثرها يحارب راجلاً بالسيف الكليل والرمح الذليل والفارس منها يحارب على الفرس العربي الذي لا سرج له وعلى السرج الرث الذي لا ركاب له والاغلب على قتال العجم الرمي والاغلب على قتال العرب السيف والرمح وهما ادخل في الجد وابعد من الفرار وادل على الصبر

وشجعاؤهم في الجاهلية مثل عتيبة بن الحارث بن شهاب صياد الفوارس وبسطام بن قيس وبجير وعفاك ابني ابي مليل وعامر بن الطفيل وعمرو بن ود واشباههم وفي الاسلام مثل الزبير وعلي وطلحة ورجال من الانصار وعبد الله بن حازم السلمي وعباد بن الحصين وقال ما علمت ان احداً يعدل الف فارس حتى رأيت عباداً ليلة كابل وقطري ابن الفجاءة وشبيب الحروري وامثال هؤلاء عدد الرمل والحصى ليس منهم احد اذا انت توقفت على اخباره وحالاته في شجاعته الا وجدته فوق كل اسوار والرجليون للعرب خاصة

قال ابو عبيدة رجليو العرب المشهورون المنتشر بن وهب الباهلي وسليك ابن عمير السعدي واوفى بن مطر المازني وكان الرجل منهم يلحق الظبي حتى يأخذ بقرنيه واذا كان زمان الربيع جعلوا الماء في بيض نعام مثقوب ثم دفنوه فاذا كان الصيف وانقطع الغزو غزوا وهم اهدى من القطا فيأتون على ذلك البيض و يستثيرونه و يشربونه

وحدثني ابو حاتم قال حدثني الاصمعي ان السليك كان يعدو فتنتثر سهامه من كنانته بالارض فتهتز وكان يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من الخيبة واما الهيبة فلا هيبة

وقرأت في كتب العجم ان بهرام جور كان في حجر ملك العرب بالبادية قبل ان يملك ابيه وان الفرس عزموا على ان يملكوا غيره فسار بالعرب حتى ورد السواد وطالبهم بالملك وجالدهم عنه حتى اعترفوا له بالحق وملكوه

وقد كان كسرى اغزى بني شيبان جيشا عظيما فالتقوا بذي قار فهزمت بنو شيبان اساورة كسرى فهو يوم ذي قار ثم كان من امر العرب وامر فارس حين جمعهم الله تعالى بالاسلام وصاحبهم بالتدبير ما لا حاجة بنا الى الاطالة بذكره لشهرته

وما يدلك على عز العرب في جاهليتهم وانفتهم وشدة حميتهم ان ابرويز ملك فارس واشدها سطوة واعظمها في البلاد خطب الى النعمان بن المنذر احدى بناته فرده رغبة بها عنه ولم يزل هاربا منه حتى ظفر به فقتله

وكان لقريش بيت الله الحرام العتيق من الجبابرة المنصور بالطير الابابيل لم يزالوا ولاته وسدنته والقائمين لاموره والمعظمين لشعائره وكان يقال لهم اهل الله وجيران الله لنزولهم الحرم ومجاورتهم البيت وكان فيهم بقايا من الحنيفية يتوارثونها عن اسمعيل صلى الله عليه وسلم منها حج البيت الحرام وزيارته والختان والغسل والطلاق والعتق وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والرضاع والصهر

وقد كان حاجب بن زرارة وفد على كسرى فرأى العجم ينكحون الاخوات والبنات فسولت له نفسه التاسي بهم والدخول في دينهم فنكح ابنته ثم ندم على ذلك فقال

لحا الله دينك من امة   يحل الاخوات لنا والبنات
احشت على اسرتي سوءة   وطوقت جيدي بالخزيات
وابقيت في عقبي سبة   مشاتم يحيين بعد الممات
فتاة تجنبها شيخها   فبئس الشيخ ونعم الفتاة

وما كان بقي فيهم من الحنيفية ايمانهم بالملكين الكاتبين حدثني بعض اصحابنا عن عبد الرحمن بن خالد الخالد قال كان الحسن بن جهور مولى المنصور خرج الى بعض ولد سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كانا كان ابنه الخطاب بن

فإذا كتابه خطه إنما هو مثل خط النساء وإذا فيه باسمك اللهم ذكر حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري من أهل وزل صنعاء عليه ألف درهم فضة طيبة كيلا بالحديدة ومتى دعاه بها أجابه شهد الله بذلك والملكان. وقال الأعشى

ولا تحسبني كافراً لك نعمة ‖ على شاهدي يا شاهد الله فاشهد

قوله على شاهدي أي على لساني شاهد الله يعني الملك

ومن ذلك أحكام كانت في الجاهلية أقرها الله في الإسلام لا يبعد أن تكون من بقايا دين إسماعيل صلى الله عليه وسلم منها دية النفس مائة من الإبل ومنها اتباع حكم [illegible] ومنها البتوتة بطلاق ثلاثة وللزوج على المرأة في الواحدة والاثنين فهذه [illegible] في الجاهلية مع أحوال كثيرة في العمرة والعمرة نذكرها بعدها إن شاء الله ثم أتى الله بالإسلام وبعث نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء وخاتم الرسل والمبين كل شريعة وجمع كل فضيلة فنشر عددها وجمع كلمتها وأمدها بملائكته وأيدها بقوته ومكن لها في البلاد وأورثها رقاب الأمم وجعل فيها خلافة النبوة ثم الإمامة باقية ثابتة حتى يأتي المسيح صلى الله عليه وسلم فيصلي خلف الإمام منها فالردة لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها وحطها وهي يومئذ أكرمها فقال: كنتم خير أمة أخرجت للناس. فوافق هذا الخطاب والأمم طراً داخلة فيه وأما قوله لبني إسرائيل وفضلتكم على العالمين. فإنه من باب العام الذي أريد به الخاص كقوله حكاية عن إبراهيم: وأنا أول المسلمين. وحكاية عن موسى: وأنا أول المؤمنين. وقد كانت الأنبياء قبلهما مؤمنين ومسلمين فإنما أراد موسى زمانه وكذلك قوله: وفضلتكم على العالمين. يريد عالمي زمانهم. وقوله في قريش: أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم. ليس فيه دليل على أن أهل اليمن خير من قريش في الحسب ولا أنهم مثلهم وهم من ولد إبراهيم صلى الله عليه وسلم ومن الشجرة التي اصطفى الله على العالمين وليس لليمن ولد من الأنبياء دون نوح وإنما خاطب الله المشركين من قريش ووعظهم بمن قبلهم من الأمم الهالكة بمعصيته وحذرهم أن ينزل بهم مثل ما أصابهم فقال: أهم خير. من أولئك الذين كانت لهم القوة والمنعة والبلاد والحصون فأهلكناهم بالذنوب والخير قد يقع في أسباب كثيرة يقال هذا خير الناس يريد أعلاهم وهذا خير العودين يريد أصلبهما وكانت اليمن كما قال الله قبلا: أكثر منهم [illegible] فأبادهم بعصره [illegible] الذين قبلهم [illegible] تمكينهم وإهلاكهم [illegible]

[illegible] ذلك الأمر لم [illegible] من الناس [illegible] الخلافة [illegible] في قريش لن يصلح [illegible] الله [illegible] فضل [illegible] الخليفة لا [illegible] الأئمة مقصورة عليها أن لا تكون [illegible] في [illegible] عن [illegible] أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأئمة من قريش. وروى وكيع عن الأعمش عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الناس تبع لقريش في الخير والشر. وروى وكيع عن [illegible] عن ابن خثيم عن إسماعيل عن عبيد الله بن رفاعة عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن قريشا أهل صدق وأمانة فمن بغاهم العواثر كبه الله لوجهه يوم القيامة. وروى ابن عيينة [illegible] عن [illegible] ابن أبي حثمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تعلموا من قريش ولا تعلموها وقدموا قريشا ولا تؤخروها. وروى يزيد بن هارون عن ابن أبي ذئب عن الزهري عن محمد بن [illegible] عن عبد الرحمن [illegible] بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن للقرشي مثل قوة الرجلين من غير قريش. فقيل للزهري [illegible] قال [illegible] الرأي. وكان يقال قريش الكتيبة [illegible] [illegible] هذه الأمة [illegible] الأرض.

وحدثني يزيد بن عمرو عن محمد بن يوسف عن أبيه عن إبراهيم عن مكحول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يبغض العرب إلا منافق.

وحدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا [illegible] قال حدثنا علي بن [illegible] ابن [illegible] عن [illegible] سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا وهو يقول:

إني امرؤ حميري حين تنسبني … لا من ربيعة آبائي ولا مضر

فقال ذاك ألأم لجدك وأبعد لك من الله ورسوله.

وحدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا [illegible] قال حدثنا أبو [illegible] ابن أبي ظبيان عن أبيه عن سلمان قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك. قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله؟ قال: تبغض العرب فتبغضني.

وروى محمد بن بشر العبدي قال حدثنا [illegible] عن حصين بن عمر عن مخارق بن عبد الله [illegible] عن طارق بن شهاب عن عثمان [illegible] قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي

وروى حميد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن المؤمل عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختلف الناس فالحق في مضر

وروى ابو نعيم عن الثوري عن يزيد بن ابي زياد عن عبد الله بن الحرث عن المطلب بن ابي وداعة والمطلب بن ربيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فرقا فجعلني في خيرهم فرقة وخلق قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا

ثم يلي العرب في شرف الطرفين اهل خراسان اهل الدعوة وانصار الدولة فانهم لم يزالوا في اكثر ملك العجم لقاحا لا يؤدون الى احد اتاوة ولا خراجا وكانت ملوك العجم قبل ملوك الطوائف تنزل بلخ . ثم نزلوا بابل ثم نزل اردشير بابك فارس فصارت دار ملكهم وصار بخراسان ملوك الهياطلة الذين قتلوا فيروز بن يزدجرد بن بهرام ملك فارس وكان غزاهم فكادوه في طريقه بمكيدة حتى سلك سبيلا معطشة مهلكة ثم خرجوا اليه فاسروه واكثر اصحابه فسألهم ان يمنوا عليه وعلى من اسر معه واعطاهم موثقا من الله ان لا يغزوهم ولا يجوز حدودهم ونصب حجرا بينه وبين بلادهم جعله الحد الذي حلف عليه واشهد الله على ذلك فلما عاد الى مملكته اخذته الانفة والحمية مما اصابه فعاد لغزوهم ناكثا لايمانه غادرا بذمته وجعل الحجر الذي كان نصبه امامه في مسيره يتأول انه لا يتقدم الحجر فلما لم يجزه فلما صار اليهم ناشدوه الله واذكروه ما جعل على نفسه من عهده وذمته فابى الا لجاجا ونكثا فواقعوه فقتلوه وقتلوا حماته وكماته واستباحوا عسكره واسروا صفقته وبقي في ايديهم اسرى ثم اخذوا بلاده وغبروا بعد ذلك زمانا طويلا حتى قتلوا كسرى ابن فيروز وهذا الذي نخبر به عن فارس فيما دونوا في سير ملوكهم من اخبارهم ومن اقر بهذا على نفسه لعدوه واخذ خصمه فالملك لمستروزين من امره

وكان فيما حكوا من الكلام الدائر بين ملك الهياطلة وبين فيروز كلام احببت ان اذكره في هذا الموضع لادله على حكمة القوم وحزمهم في الامور وعلمهم بمكايد الحروب فلما التقى الفريقان ثم تصافوا للقتال ارسل اخشنوار ملك الهياطلة الى فيروز يسأله ان يبرز فيما بين الصفين ليكلمه فخرج اليه فقال اخشنوار قد ظننت انه لم يدعك الى معاودتنا هذه الا الانف مما اصابك ولعمري لئن كنا احتلنا لك بما رأيت لقد

كنت [illegible] الا [illegible] عن [illegible] ولقد كنت [illegible] تكون من [illegible] عليك [illegible] وتعني العهد [illegible] في نفسك [illegible] كم [illegible] في الحكمة [illegible] قدرة [illegible] في ذلك [illegible] بين هذين الامرين [illegible] امرا لم يتح له [illegible] سبيلا لم يخطر [illegible] عليهم [illegible] القضاة [illegible] من [illegible] مع ان كلا [illegible] كثرة [illegible] وما اجدني [illegible] الملك في [illegible] في [illegible] الحق [illegible] في [illegible] من [illegible] في هذه الحالة [illegible] في عدوه اذا كان [illegible] الذي [illegible] في نفسك [illegible] من [illegible] على الآن وادعو الى [illegible] من [illegible] في ذلك في كل [illegible] في [illegible] وتعادي [illegible] من اصحابك [illegible] لا يدري [illegible] ان تكون في ايدي [illegible] من عنده [illegible] الى [illegible] من [illegible] الا بما [illegible]

[illegible]